السنة الحادية والخمسون بعد المئتين

فيها اضطربت أمورُ المستعين، وسببُه قتلُ باغر التركيّ قاتل المتوكل، واضطرابُ أمر الأتراك، وكان باغر قد أُقطِعَ بسواد الكوفة ضياعاً، وكان له كاتبٌ يهوديٌّ، فجارَ على أهل تلك الناحية، فنهاه رجلٌ يقال له أحمد بن مَارِمَّة، فحبسَه اليهوديّ[١]، فهرب من الحبس إلى سامرّاء، فلقي دُلَيل بن يعقوب النصرانيّ كاتب بُغَا الشرابي وصاحب أمورِ العساكر، فاستجارَ به ابن مَارِمَّة، فأجاره، وكان باغر أحدَ قواد بغا، فمنع دليل باغر من ظلمه، فأوغر صدره، وكان بغا والموالي يتوقَّونَ شرَّ باغر، فجاء باغر وهو سكران إلى بغا وهو في الحمام، فأغلظَ له وقال: والله ما من قتل دُليل النصراني بُدّ، فخاف منه بغا فقال: لو أردتَ قتل ابني فارس لما منعتك، ولكن أمري وأمر الخلافة والعساكر إلى دليل، فاصبر حتى أبصر لمكانه إنساناً يقوم بأمره، وافعل به ما شئت، وأرسل بغا إلى دُلَيل فأمرَه أن لا يظهر، فاستخفى، وبعث بغا إلى محمد بن يحيى بن فيروز فاستكتَبه مكان دُلَيل، فرضي باغر بعزل دُلَيل، وما زال بغا حتى أصلح ما بين باغر ودُلَيل، وفي قلب باغر ما فيه، ثمَّ تلطَّف باغر، ولزم خدمة المستعين في الدار، وكره المستعين مقامه عنده، فقال لوصيف: أيُّ شيءٍ كان إلى إيتاخ من العمل؟ فقال: كذا وكذا، فقال: ولُّوه لباغر، وكانت تلك الأعمال إلى بغا، وبلغ دُليلاً، فأرسلَ إلى بغا يقول: أنتَ في دارك وهم في تدبير عزلك عن أعمالك، ما بقيَ بعده إلَّا أن يقتلوك، فجاء بغا إلى وصيف وقال: أردت أن تزيلَني عن مرتبتي، وتصيِّر باغر مكاني، وهل باغر إلَّا عبدٌ من عبيدي، فقال وصيف: ما عملتُ إلَّا ما أراد الخليفة من ذلك[٢]، فتعاهد بغا ووصيف على محنة باغر.

وكان المستعين خائفاً منه، فأمر من أرجف باغر بالإمرة، وأن يُضَاف إليه جيشٌ

---

(١) كذا في (خ) و(ف). وسياق الخبر كما في تاريخ الطبري ٩/ ٢٧٨ : أن باغر أقطع قطائع... فتضمَّن تلك الضياع التي أُقطعها باغر هنالك من كاتب كان لباغر يهوديٌّ بألفي دينار في السنة، فعدا رجل بتلك الناحية يقال له: ابن مارمَّة على وكيل لبغا هنالك، فتناوله أو دسَّ إليه من تناوله، فحبس ابن مارمة ...

(٢) كذا في (خ) و(ف) وفي تاريخ الطبري ٩/ ٢٧٩ : ما علمتُ ما أراد الخليفة من ذلك، وانظر الكامل ٧/ ١٣٨ .

كثير، ودافعه، فأحسَّ بالمكر به، فبايع الذين ساعدوه على قتل المتوكل وغيرهم على قتل المستعين وبغا ووصيف، وأنَّهم يولُّون عليَّ بن المعتصم أو ابن الواثق، وتصير الدنيا لهم.

وبلغ المستعين من امرأة كانت لباغر فطلَّقها، فبعث المستعين إلى بغا ووصيف، فقال لهما: أنا ما سألتُكما أن تجعلاني خليفة، أنتما فعلتما ذلك، وتريدان أنتما والموالي تقتلوني، وأخبرهم الخبر، فحلفا بالله ما علمنا بشيء من ذلك.

ثمَّ أرسلا إلى باغر وجماعة من الأتراك، فأحضروهم إلى دار بغا، وعدلوا بباغر فحبسوه في حمَّام، وبلغ الأتراك، فنهبوا دارَ المستعين، وحصرُوا الجوسق بالسلاح، فقال لرشيد بن سعاد[1]: أقتل باغر، فدخل عليه في عدَّةٍ من أصحابه، فشدخوه بالطبرزينات، وقتلوه شرَّ قتلة، ونزل المستعينُ وبغا ووصيف وشاهك الخادم وأحمد ابن صالح بن شيرزاد في حَرَّاقة[2] إلى بغداد، وهاج الأتراك ووقعَ النهب بسامراء، ونهبت الدور، فقال أحمد بن الحارث اليمامي: [من المتقارب]

لعمري لئن قَتلوا باغراً ... لقد هاجَ باغرُ حرباً طحونَا
وفرَّ الخليفةُ والقائدا ... نِ بالليلِ يلتمسانِ السفينَا
وصاحُوا بمَيْسَانَ ملَّاحِهم ... فجاءهُمُ يَسبِقُ الناظرينَا
فألزَمهم بطن حرَّاقةٍ ... فصرَّت مجاذيفهم سائرينَا
وما كان قدرُ ابنِ مارمَّةٍ ... ليكشف[3] فيه الحروبَ الزَّبونَا
ولكن دُليلٌ سعَى سَعْيَةً ... فأخزى الإلهُ به العالمينا
فليتَ السفينةَ لم تأتِنا ... وغرَّقها اللهُ والراكبينا

من أبيات.

وهرب ابن مَارِمَّة ودُليل إلى بغداد، فمرض ابن مارمَّة، فعاده دُليل، فقال له: ما مرضك؟ فقال: القيد الذي قيدني به اليهوديُّ قد انتقضَ عليَّ مكانُه، فقال له دُليل: لئن

(١) في (خ) و(ف): لرشد بن رشدس. والمثبت من تاريخ الطبري ٩/ ٢٨٠ ورشيد بن سعاد ابن أخت وصيف.
(٢) الحراقات: سفنٌ بالبصرة فيها مرامي نيران يرمى بها العدو. القاموس (حرق).
(٣) كذا في (خ) و(ف)، وفي تاريخ الطبري ٩/ ٢٨١: فتكسب. وفي الكامل ٧/ ١٤٠: فنكسب.

عقركَ القيدُ، لقد نقضتَ الخلافةَ، وأثرت فتنة عظيمةً. ومات ابن مارمَّة في تلك الأيام.

ولمَّا نزل المستعين بغداد تلقَّاه محمد بن [عبد الله بن] طاهر وقبَّل الأرض بين يديه، وقال: أنا العبد الأصغر، وأنزلَه في داره، وذلك يوم الأربعاء لأربعٍ خلون من المحرم.

ونزل وصيفٌ وبغا وبعضُ الترك، فدخلوا على المستعين، وتذلَّلوا وخضعوا، وسألوه العفوَ عنهم، فقال لهم: أنتم أهلُ بغيٍ وفساد، وبَطَرٍ وظلم، وأَشَرٍ واستقلالِ النعم، ألم ألحق أولادكم بكم في العلاء[1]؟ وهم نحو ألفي غلام، وألحقت بناتكم بالمتزوِّجات؟ وهنَّ نحو من أربعة آلاف امرأة، وفعلتُ معكم وفعلت، وأنتم تزدادون بغياً وفساداً وتهدُّداً. فبكوا وتضرَّعوا وقالوا: أخطأنا ونسأل العفوَ عنا، فقال: قد صفحتُ عن زلَّتكُم، وعفوتُ عنكم، فقالوا: إن كنت قد عفوتَ عنَّا فاركب معنا إلى سامراء، فإنَّ الأتراكَ ينتظرونَك، فقال لهم محمد بن [عبد الله بن] طاهر: هكذا تقولون لأمير المؤمنين: قم فاركب معنا! فضحكَ المستعين وقال: هؤلاء قومٌ عجمٌ ليس لهم معرفةٌ بحدود الكلام، وقال لهم المستعين: ارجعوا إلى سامراء حتى أنظرَ في أمري وأعود، فانصرفوا يائسين منه، وأجمعوا على إخراج المعتزّ من الحبس، وأن يبايعوه، وكان المعتزُّ والمؤيَّد في الجَوْسَق في حجرةٍ صغيرة محبوسَين[2].

ذكر بيعة المعتز البيعة الأولى

ولمَّا عادُوا من بغداد أخرجوا المعتز، وبايعوه بعد انحدار المستعين إلى بغداد بثمانية أيام، وكان المستعين لمَّا خرج من سامراء خلَّفَ في بيت المال خمس مئة ألف دينار، وفي بيت مال أمه ألف ألف دينار، فأخذَها المعتزُّ وفرَّقها في الأتراك، ثمَّ بايعوا المعتزَّ، ومن بعده لأخيه إبراهيم المؤيَّد، وأكَّدُوا العهودَ على الناس وعلى المعتزِّ لأخيه المؤيَّد، وكان فيمن حضَر البيعةَ أبو أحمد بن الرشيد محمولاً في مِحَفَّة[3]؛ لأنَّه كان به نِقْرِس، فامتنعَ وقال للمعتز: خرجت إلينا خروجَ طائع فخلعتَها، وزعمتَ أنك لا تقومُ بها، ثمَّ تقول اليوم: بايعوني، فقال المعتز: أكرهتُ وخفتُ السيف، فقال

(١) كذا في (خ) و(ف). ولعلها: العطاء.

(٢) تاريخ الطبري ٩/ ٢٨٣-٢٨٤، وما سلف من حاصرتين منه.

(٣) المِحفَّة: مركب للنساء كالهودج، إلا أنها لا تقبب.

أبو أحمد: ما علمنا أنك أُكرهت، وقد بايعنا هذا الرجل، فتريدُ أن نطلِّقَ نساءَنا، ونخرجَ من أموالنا، ولا ندري ما يكون! فتراني على أمري حتى تجتمع الناس، وإلَّا فهذا السيف، فقال المعتز: دعوه على حاله، ورُدُّوه إلى منزله، فردُّوه من غير بيعة[١].

وكانت هذه البيعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرم[٢]، واستوزرَ المعتزُّ جعفر بن محمد بن محمود[٣] الإسكافي، وجعل سعيدَ بن صالح على الشرطة، وجعفرَ بن دينار على الحرس.

وأقامَ المستعين ببغداد لا أمرَ له، والأمرُ لبغا ووصيف فقال شاعر: [من مجزوء الكامل]

خليفةٌ في قفص ... بين وَصِيف وبُغَا
يقولُ ما قالا له ... كما تقول الببغَا[٤]

ولمَّا اتصلَ بمحمد بن عبد الله بن طاهر [خبر] البيعة للمعتز قطعَ الميرةَ عن سامرَّاء، وكتبَ إلى مالك بن طوق وهو بالرحبة بالقدوم بأهله ومن معه إلى بغداد، وكتب إلى سليمان بن عمران المَوْصلي يمنع الميرةَ من الموصل إلى سرَّ من رأى، وأمر المستعين محمد بن طاهر بتحصين بغداد، فأدير عليها السور من الشماسية إلى سوق الثلاثاء، وحفر عليها الخنادق، وسلَّم كلَّ بابٍ إلى قائد، فبلغت النفقة على ذلك ثلاثَ مئة ألف دينار وثلاثينَ ألف دينار، ونصبَ عليها المجانيق والعرَّادات، واستعدَّ للحصار.

ثمَّ جرت المكاتباتُ والمراسلات بين المعتزّ وابن طاهر يدعوه إلى الدخول فيما دخلَ فيه الجماعة، ويذكر له خلعَ المستعين، وما أخذَ عليه المتوكل من العهود بأنَّ المعتزَّ هو الخليفة من بعد المنتصر، فما أجابه ابن طاهر، وكتبَ ابنُ طاهر إلى الأتراك

(١) تاريخ الطبري ٩/ ٢٨٦ ، والمنتظم ١٢/ ٤٣ ، والكامل ٧/ ١٤٣ .
(٢) انظر تاريخ بغداد ٢/ ٤٨٩ .
(٣) كذا في (خ) و(ف) . وفي تاريخ الطبري ٩/ ٢٨٧ ، ٣٨٨ ، وتاريخ الإسلام ٦/ ٣٠٧، والوافي بالوفيات ١١/ ١٥٢ : جعفر بن محمود. وفي مروج الذهب ٧/ ٣٧٩ : جعفر بن محمد.
(٤) مروج الذهب ٧/ ٣٢٥ .

بسامراء يأمرهم بنقض بيعة المعتزّ والوفاء للمستعين بما بايعوه عليه، فلما رأى ذلك أمر بكسرِ القناطر والجسور وبثق المياه حول البلد في طريقهم.

وكتب كلُّ واحدٍ من المستعينِ والمعتز كتاباً إلى موسى بن بغا ـ وكان مقيماً بأطراف الشام قد انفصلَ عن حمص ومحاربة أهلها[١] ـ يأمره بأن يصير إليه، ويَعِدُهُ الولايات والإقطاعات، فمالَ إلى المعتز، وقدمَ عليه بسرَّ من رأى، ثمَّ قدم عبد الله بن بغا الصغير على أبيه ببغداد، واعتذر إليه من تأخُّره عنه، واحتجَّ بحجَّةٍ، فقبلَ ذلك منه أبوه، وأقام أيَّاماً، ثم عاد إلى سرَّ من رأى مخالفاً لأبيه، وقال للمعتز: إنما صرتُ إلى بغداد لأعرفَ أخبارهم، فصدَّقَه المعتزّ، وأحسن إليه.

وقدم الحسنُ بن الأفشين بغداد على المستعين، فسر إليه[٢]، وضمَّ إليه من الأشروسنة وغيرهم، وقدمَ أيضاً أسد بن داود سياه، وجماعةٌ من القوَّاد على المستعين، وجهز المستعين العساكر إلى بغداد.

ذكر تجهيز المعتز العساكر إلى قتال المستعين

لما كان يوم السبت لسبعٍ بقين من المحرَّم عقد المعتز لأخيه أبي أحمد ابن المتوكل على حرب [ابن] [٣] طاهر والمستعين، وجهَّزه في جيشٍ كثيف، وجعل التدبير إلى كلباتكين التركي، فعسكرَ بالقاطول في خمسة آلاف من الأتراك والفراغنة، وألفين من المغاربة، ومقدَّمهم محمدُ بن راشد المغربيّ، فنزلوا عُكْبَرَا ليلة الجمعة لليلةٍ بقيت من المحرَّم، وصلى بها أبو أحمد الجمعة، ودعا للمعتزِّ بالخلافة، وكتب إليه بالفتح، وهربَ الناس منهم ما بين بغداد وعُكْبَرَا وسائر القرى من الجانب الغربيّ؛ خوفاً على أنفسهم، وتركوا الضياع والغلَّات والأمتعة، فنهبت، وهدمتِ المنازل، وقطعت الطرق.

وهرب جماعةٌ من أصحاب بغا الشرابيّ إليهم، فأكرمَهم أبو أحمد، وجاء أبو أحمد بعسكرِه فنزل بباب الشمَّاسيَّة، وذلك في ليلة [الأحد] [٤] لسبعٍ خلونَ من صفر.

---

(١) كذا في (خ) و(ف). وفي تاريخ الطبري ٩/ ٢٨٩: وكان خرج إلى حمص لحرب أهلها.

(٢) في تاريخ الطبري ٩/ ٢٩٠، والكامل ٧/ ١٤٥، والمنتظم ١٢/ ٤٤: فخلع عليه.

(٣) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٩/ ٢٩٠.

(٤) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٩/ ٢٩١.

ولثلاث عشرة خلت منه جاء لابن طاهر جاسوس، فأخبره أنَّ أبا أحمد يريدُ أن يحرق ظلالَ الأسواق من جانبي بغداد، فأمر بها فكُشِطَتْ.

وقيل: إنهم جَدُّوا في القتال من باب الشمَّاسيَّة إلى سوق الثلاثاء، ومن قنطرة الحربية إلى الصراة، ثم تأخروا إلى القُفْص. والأصحُّ أنهم أقاموا من غير قتالٍ إلَّا مناوشات، ثم جدُّوا في القتال من منتصف صفر، فقُتِل من الفريقين في ذلك اليوم أربع مئة، من كلِّ فريق مئتان، وكثُرت الجراحات فيهم، وكانت الغوغاء تقاتلُ أعظمَ من الجند بالمجانيق والمقاليع، والمعتزُّ يردفُهم بالعساكر والأموال.

ولَّما كان في اليوم السادس عشر من صفر ـ وقيل: يوم الأربعاء لليلةٍ بقيت منه ـ وجَّه محمدُ بن طاهر عسكراً إلى باب القطيعة، وجعل كميناً، وجاءَ أصحاب أبي أحمد وقُتِل منهم ألفان، وأخذ ما كان معهم من متاعٍ وأموالٍ ودوابّ وأسرى، وجُعلت رؤوسهم في الزواريق، وأُخِذت أعلامُهم وطبولهم، وغرقَ منهم ألفان[1]، وانهزمَ الباقون إلى سامرَّاء، وخلعَ ابن طاهر على المُقَدَّمين، وسوَّرهم، وطوَّقهم أطواق الذهب.

وفرحَ المستعين وأمر أن يكتب كتاب بالنصر وعدَّةِ القتلى، ويقرأ في نواحي بغداد، ودعا فيه لمحمد بن طاهر.

وهدم ابنُ طاهر ما كان بباب الشماسيَّة وراءَ السور من الدور والحوانيت، وقطع البساتين؛ ليتَّسع للخيل مجال[2].

ولمَّا جرى على عسكر المعتزِّ ما جرى نهب العوامُّ أسواقَ سامرَّاء وحوانيتَها[3].

وفي يوم الاثنين لستٍّ بقين من صفر قدم بغداد إسماعيلُ بن فراشة من ناحية همذان في ثلاث مئة فارس، وقدم معه رسولُ المعتزّ يأمرُه بالبيعة، فقيَّد ابنُ فراشة الرسول، وصحبَه إلى بغداد، وحملَه على بغلٍ بإكاف[4]، فخلع ابنُ طاهر على ابن فراشة عدَّة خلع.

---

(١) كان عسكر الأتراك أربعة آلاف، قتل منهم ألفان، وغرق من غرق، وأسر منهم جماعة. انظر تاريخ الطبري ٩/ ٢٩٥ـ٢٩٦.

(٢) تاريخ الطبري ٩/ ٣٠٣.

(٣) تاريخ الطبري ٩/ ٣٠٥.

(٤) في تاريخ الطبري ٩/ ٣٠٦: بلا إكاف.

ولليلةٍ بقيت من صفر جاء الأتراكُ والمغاربة إلى أبواب بغداد من الجانب الشرقيّ، فأغلقتْ في وجوههم، ورُموا بالسهامِ والمجانيق وقتل من الفريقين جماعةٌ ورَجعوا.

وفي ربيع الأوَّل جاء عسكرٌ من سامرَّاء، فخرجَ إليهم محمدُ بن طاهر في قوَّاده واقتتلوا، وما زالوا كذلك إلى نصف رجب، وضاق ببني هاشم الحال[١]، وانقطعت أرزاقُهم، فجاؤوا إلى دار ابن طاهر، فشتموه، وصاحوا بالمستعين: إن لم تدفع إلينا أرزاقَنا، وإلَّا فتحنَا الأبوابَ لأصحاب المعتزّ، فأرسلَ إليهم من لطف بهم، ووعدهم الخيرَ، فسكتوا.

وفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان نقبَ الأتراكُ سور باب الأنبار، وأحرقوا الباب، وما كان عليه من المجانيق والعُدد، فركب ابنُ طاهر وبُغَا ووصيف، والتقوا، فهزموا الأتراكَ، وسدُّوا باب الأنبار بالجصِّ والآجر[٢].

وفيها كتب المعتز إلى أبي أحمد يلومه على تأخُّره عن القتال، ويأمره بالجدِّ، فكتب إليه أبو أحمد: [من المتقارب]

ليوم المنايا علينا طريقُ ... وللدَّهر فيه اتِّساعٌ وضيقُ
وأيَّامنا عِبَرٌ للأنام ... فمنها البكورُ ومنها الطُّروقُ
ومنها هَنَاتٌ تشيبُ الوليدَ ... ويَخذلُ فيها الصدوقَ [الصديقُ][٣]
وبلدةُ حصنٍ لها[٤] ذِرْوةٌ ... تفوتُ العيونَ وبحرٌ عميقُ
قتالٌ مبيدٌ وسيفٌ عتيدٌ ... وخوفٌ شديدٌ وحِصْنٌ وثيقُ
وطولُ صياحٍ لداعي الصباح الـ ... ـسلاحَ السلاحَ فما يستفيقُ
فهذا قتيلٌ وهذا جريحٌ ... وهذا حريقٌ وهذا غريقُ
وهذا [قتيلٌ][٥] وهذا تليل ... وآخر يشدخُه المنجنيقُ

(١) في (خ) و(ف): الجبال. وانظر تاريخ الطبري ٩/ ٣٢٧.
(٢) انظر تاريخ الطبري ٩/ ٣٣٠ـ٣٣١.
(٣) في تاريخ الطبري ٩/ ٣١٦: الصديق الصديق. وما بين حاصرتين منه.
(٤) في تاريخ الطبري: وسور عريض له.
(٥) مكانها في (خ) و(ف) بياض. والمثبت بين حاصرتين من تاريخ الطبري.

هُـنـاكَ اغـتـصـابٌ وثَـمَّ انـتـهـابٌ ودُوْرٌ خـرابٌ وكـانـت تَـرُوقُ
إذا مـا سـمـونـا إلـى مـسـلـكٍ وجـدنـاه قـد سُـدَّ عـنـا الـطـريـقُ
فـبـالله نـبـلـغُ مـا نـرتـجـيـهِ وبـالله نـدفـعُ مـا لا نـطـيـقُ

وقيل: إنَّ هذه الأبيات لعليِّ بن أميَّة في فتنة المأمون[1].

وفي ذي القعدة كانت بينهم وقعةٌ عظيمة وكان أبو أحمد قد نزل بباب الشماسيَّة وأخرب ما حوله، وجدَّ في القتال، فسألَهم ابنُ طاهر الموادعةَ لينظر في الأمر، فأجابه أبو أحمد، وبطل القتال، وأبواب بغداد مغلقةٌ، ولم يزل أمرُ بغدادَ يضعفُ، وأمرُ الأتراك يشتدُّ؛ لأنَّ الميرةَ كانت تأتيهم من كلِّ مكان، فصاح أهلُ بغداد: إمَّا القتال، وإمَّا فتح الأبواب، فلم يجابوا، فصاحوا: الجوع الجوع، وكاتب المعتزُّ محمد بن طاهر يرغِّبه ويرهِّبه، وبعثَ إليه أبو أحمد بهدايا كثيرة، وعلمت العامة فجاؤوا إلى باب ابن طاهر فقاتلوه، وقُتل بينهم قتلى، وأرادوا نهبَ داره، وكان المستعين نازلاً بها، فأرسل إليه ابنُ طاهر يسألُه أن يُكلِّم العوامّ، فاطَّلع إليهم وقال: كُفوا، ثم أصبحوا إلى دار ابن طاهر فقاتلوه وقالوا: قد واطأت الأتراكَ والمعتزَّ على خليفتنا وراسلتَهم وراسلوك، وتريدُ أن تحكِّمَ الأتراكَ في حريمنا وأموالنا، ونحن لا نأمنُك على خليفتنا، انقله من دارك، فقال له المستعين: لا آمنُ عليك الغوغاء، انقلني من دارك، قال: بسم الله، فركب المستعين من داره وخرج ومحمدٌ بين يديه بالحربة؛ لأنَّه كان صاحب الشرطة، والقوَّادُ يمشون خلفه، إلى دار رزق الخادم بالرُّصَافة ـ وقيل: إلى دار عمَّته أم حبيب بنت هارون الرشيد ـ ولمَّا مر بدار عليِّ بن المعتصم خرج وسألَه النزول عليه، فأبى.

وعزم ابنُ طاهر على النقلة من داره إلى المدائن خوفاً من العامَّة، فاجتمع إليه الغوغاء[2]، وقالوا: هؤلاء الغوغاء سفهاء، وقد جاعوا، وطالَ عليهم الحصار، فاصفح عنهم ولا تؤاخذهم، فأجابَهم، وخرج ابن طاهر إلى العامة، حَلفَ لهم أنَّه ما أضمرَ للمستعين غلًّا ولا شرًّا، ولا قصدَ إلَّا الإصلاح، وبَكى فأبكى الناس، فرضوا عنه.

---

(١) تاريخ الطبري ٩/ ٣١٧.
(٢) كذا في (خ) و(ف).

ذكر انحراف ابن طاهر على المستعين

لم يزل ابن طاهر مجدًّا في نصرته حتى أيقظَه عبيدُ الله بن [يحيى بن][1] خاقان، فقال له: هذا الذي تنصرُه وتبذلُ روحَك بين يديه، ومالكَ في نصرته، أشدُّ الناس نفاقاً، وأخبثهم ديناً، أَمَرَ بُغَا ووصيفاً بقتلِك، فاستعظما ذلك، فسلْ تُخبر، وحسبك دليلاً على نفاقه أنَّه كان بسرَّ من رأى لا يجهرُ ببسم الله الرحمن الرحيم، فلمَّا صار إلى بغداد جهرَ بها مداجاةً لك، وتقرُّباً إليك، فقال محمد: أخزَى الله هذا، فما يصلحُ لدنيا ولا دين.

ولمَّا كان منتصف ذي الحِجَّة خرجَ ابنُ طاهر إلى باب الشمَّاسيَّة فوقفَ هنالك، وجاءَ أبو أحمد بن المتوكِّل وقد ضرب لهما مضرب، فنزلا وتحادثَا طويلاً، واتَّفقا على خلع المستعين، وضمنَ أبو أحمد لابن طاهر في كلِّ سنةٍ خمسين ألف دينار، وغَلَّةً بثلاثين ألف دينار، وأن يُقيم على حاله ببغداد، وله ثلث مغلها، وللموالي والأتراك الثلثان، ويولي بُغَا مكة والمدينة والحجاز، ووصيفاً الجبال[2].

ورجع ابنُ طاهر إلى المستعين، فكاشفه بالخلع، فقال: يا محمد، إنَّما نزلتُ دارك لتجيرني وتنصرني على عدوِّي، فإن لم تفعل ذلك فكفَّ عني، وهذا عنقي والسيف دون الخلع، ما أفسد حالي غيرك. فقال ابن طاهر: أمَّا أنا فأقعد في بيتي، وأمَّا أنتَ فلا بدَّ لك من الخلع كارهاً أو مطيعاً، وكان ابن الخَلَنْجِيّ حاضراً، فقال لابن طاهر وأغلظ له: أتريد أن تخلع قميصاً من قمص الله به أمير المؤمنين، لا ولا كرامة[3].

ذكر خلع المستعين

لما خذله ابنُ طاهر وبغا ووصيف، وضعف أمره، أجابَ إلى الخلع، ولمَّا ناظروه قال له وصيف: أنتَ أمرتنا بقتل باغر، فصرنَا إلى ما نحن فيه، وأنتَ عرَّضتنَا لقتل أوتامش، وقلت: إنَّ محمد بن عبد الله بن طاهر ليس بناصح، وقال له محمد: أنت

---

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٩/ ٣٤٢.

(٢) في تاريخ الطبري ٩/ ٣٤٣: على أن يعطى خمسين ألف دينار، ويقطع غلة ثلاثين ألف دينار في السنة، وأن يكون مقامه بغداد حتى يجتمع لهم مال يعطون الجند، وعلى أن يولَّى بغا مكة والمدينة والحجاز، ووصيف الجبل وما والاه، ويكون ثلث ما يجيء من المال لمحمد بن عبد الله، وجند بغداد والثلثان للموالي والأتراك.

(٣) وقع في سياق الخبر ها هنا خلل وتداخل. فانظر تمامه في تاريخ الطبري ٩/ ٣٤٣، ٣٤٤.

قلت لي: إنَّ أمرنَا لا يصلحُ إلَّا باستراحتنا من هذين، وكاشفوه فأذعنَ بالخلع كرهاً.

ولمَّا كان يومُ السبت لعشرٍ بقين من ذي الحجة ركبَ محمد بن طاهر إلى الرُّصافة، وجمعَ القضاة والشهود والفقهاء، فأدخلَهم على المستعين فوجاً فوجاً، وأشهدهم على نفسه بالخلع، وأخذ منه جواهرَ الخلافة.

واشترط المستعينُ أنْ ينزلَ مدينةَ النبيِّ ﷺ، وأن يتردَّد من المدينة إلى مكَّة، فأُجيبَ إلى ذلك، وبعثوا بالكتاب إلى المعتزّ.

وحُمِل إلى المستعين أمُّه وابنه[1] وعيالُه بعد ما فُتِّشُوا وأَخذوا ما كان معهم، فوصلُوا إلى بغداد أول سنة اثنتين وخمسين ومئتين.

وعاد أبو أحمد إلى أخيه المعتزّ بالبُرْدَةِ والقضيب والسيف وجوهر الخلافة مع شاهك الخادم.

وكان المستعين يقول: اللهمَّ إنْ كنتَ خلعتني من الخلافةِ، فلا تخلعني من رحمتك.

وأكثرت الشعراءُ في خلع المستعين وغدرِ ابن طاهر به، فقال شاعر: [من الطويل]

أطافت بنا الأتراكُ حولاً مكمَّلاً ... وما برحت في حجرها أمُّ عامرِ
أقامت على ذلٍّ بها ومهانةٍ ... فلمَّا بدت أبدت لنا لؤمَ غادرِ
ولم ترعَ حقَّ المستعين فأصبحت ... تعينُ عليه حادثاتُ المقادرِ
لقد جمعتْ لؤماً وخبثاً وخِسَّةً ... وأبقت لهم عاراً على آل طاهر[2]

وقال آخر: [من الكامل]

خُلِعَ الخليفةُ[3] أحمدُ بن محمدٍ ... وسيقتلُ التالي له أو يُخْلَعُ
ويزولُ ملكُ بني أبيه ولا يُرَى ... أحدٌ تملَّكَ منهمُ سيُمَتَّعُ
إيهاً بني العباس إنَّ سبيلَكم ... في قتلِ أعبُدِكُم سبيلٌ مهيَعُ
رقَّعتُمُ دنياكُم فتمزَّقتْ ... بكمُ الحياةُ تمزُّقاً لا يُرْقَعُ

(١) في تاريخ الطبري ٩/ ٣٤٥: وابنته.
(٢) مروج الذهب ٧/ ٣٦٨-٣٦٩.
(٣) في تاريخ الطبري ٩/ ٣٥٠: خُلِعَ الخلافة.

وقال مروان بن محمَّد[١] بن أبي الجنوب يمدح المعتز بعد خلع المستعين: [من السريع]

قد عادتِ الدُّنيا إلى حالِها ... وسرَّنا اللهُ بإقبالِهَا
دنيا بك اللهُ كفى أهلَها ... ما كان من شدَّةِ أهوالِهَا
وكان قد ملَّكهَا جاهلاً ... ما تصلحُ الدُّنيا لجهَّالِهَا
قد كانتِ الدُّنيا به أقفلتْ ... فكنتَ مفتاحاً لأقفالِهَا
خلافةٌ كنتَ حقيقاً بها ... فضَّلكَ اللهُ بسربالِهَا
فردَّه اللهُ إلى حالِهِ ... وردَّها اللهُ إلى حالِهَا
بدَّلنا اللهُ به سيِّداً ... أسكنَ دُنيا بعد زلزالِهَا[٢]

من أبيات.

وقال: [من البسيط]

إنَّ الأمور إلى المعتزِّ قد رَجَعَتْ ... والمستعينُ إلى حالاته رجعَا
وكان يعلمُ أنَّ الملكَ ليس له ... وأنَّه لك لكن نفسَهُ خَدعَا
ومالكُ الملكِ مؤتيهِ ونازعُهُ ... آتاه[٣] ملكاً ومنهُ الملكَ قد نزعَا
إنَّ الخلافةَ كانت لا تلائمُهُ ... كانت كذاتِ حليلٍ زُوِّجت مُتعَا
ما كان أقبحَ عند الناس بيعتَه ... وكان أحسنَ قول[٤] الناس قد خُلِعَا
ليت السُّقاةَ إلى قافٍ به دَفَعَتْ[٥] ... نفسي الفداءُ لملَّاحٍ به دَفعا
أمسى بك الناسُ بعد الضيقِ في سَعَةٍ ... والله يجعلُ بعد الضيقِ متَّسعَا
والله يدفعُ عنكَ السوء من مَلكٍ ... فإنه بكَ عنَّا السوءَ قد دفعَا
ما ضاعَ مدحي وما ضاع اصطناعُكَ لي ... لقد وجدتُ بحمدِ الله مصطنعَا

من أبيات[٦].

---

(١) كذا في (خ) و(ف). وفي تاريخ الطبري ٩/ ٣٥٠: محمَّد بن مروان.

(٢) تاريخ الطبري ٩/ ٣٥١-٣٥٢.

(٣) في تاريخ الطبري ٩/ ٣٥١: آتاك.

(٤) في (خ) و(ف): عند. والمثبت من تاريخ الطبري.

(٥) كذا في (خ) و(ف) وفي تاريخ الطبري ٩/ ٣٥١: ليت السفين إلى قافٍ دفعن به.

(٦) تاريخ الطبري ٩/ ٣٥١.

وقال البحتريُّ في المعتز وأوَّلُها:

يجانبنا في الحبِّ من لا نُجانِبُهْ ... ويبعدُ عنَّا في الهوى من نُقارِبُه
ألَا هل أتاهَا أنَّ مُظْلِمَةَ الدُّجى ... تجلَّتْ وأنَّ العيشَ سُهِّلَ جانبُهْ
وأنَّا رددنَا المستعارَ مذمَّماً ... على أهلِه واستأنفَ الحقَّ صاحِبُهْ
عجبتُ لهذا الدهرِ أعيتْ صروفُه ... وما الدهرُ إلا صَرْفُه وعجائبُهْ
متى أمَّلَ المخلوع أن يصطفى له ... عُرَى التاجِ أو تُثنَى عليه عصائبُهْ
وكيف ادَّعى حقَّ الخلافةِ غاصبٌ ... حوى دونه إرثَ النبيِّ أقاربُهْ
بكى المنبرُ الشرقيُّ إذ خار فوقَه ... على الناس ثورٌ قد تدلَّت غباغِبُهْ
تخطَّى إلى الأمرِ الذي ليس أهلَهُ ... فطَوراً ينازيه[1] وطوراً يواثبُهْ[2]
فكيف رأيتَ الحقَّ قرَّ قرارُه ... وكيف رأيتَ الظُّلمَ زالت[3] عواقبُهْ
ولم يكن المغترُّ بالله إذ سَرى ... ليعجِز والمعتزُّ بالله طالبُهْ
رمى بالقضيبِ عَنْوَةً وهو صاغرٌ ... وعُرِّيَ من بُرْدِ النبيِّ مناكبُهْ
وقد سرَّني أنْ قيلَ وُجِّهَ مسرعاً ... إلى الشرق تجري سُفْنُهُ ومراكِبُهْ
إلى كَسْكَرٍ خلف الدَّجاجِ ولم يكن ... لتُنْشِبَ إلَّا في الدجاجِ مخالبُهْ
فأُقسم بالوادي الحرام وما حوتْ ... أباطحُه من مُحْرِمٍ وأخاشبُهْ
لقد حملَ المعتزُّ أُمَّةَ أحمدٍ ... على سَنَنٍ يسري إلى الحقِّ لاحبُهْ
تداركَ دينَ الله من بعد ما عَفَتْ ... معالمُه فينا وغارتْ كواكبُهْ
وضمَّ شعاعَ الملك حتى تجمَّعتْ ... مشارقُه موفورةً ومغاربه

ثم أرادَ المستعينُ أنْ يخرجَ إلى مكَّة، فمنع، وإلى البصرة، فقيل: هي حارَّة، فقال: أتراها أشد حرًّا من فقد الخلافة[4]، فاختارَ نزول واسط، فبعثَ معه المعتزُّ من يُسَلِّمُه إلى منصور بن نصر الخزاعيّ عامل المعتزِّ على واسط[5].

(١) في ديوان البحتري ١/ ٢١٥: ينازيه. وفي تاريخ الطبري ٩/ ٣٥٣: يناغيه.
(٢) في ديوان البحتري وتاريخ الطبري: يشاغبه.
(٣) في ديوان البحتري: آلت.
(٤) انظر تاريخ الطبري ٩/ ٣٤٩.
(٥) انظر تاريخ الطبري ٩/ ٣٦٣.

ولما وقعت الفتنةُ في هذه السنة بين المستعين والمعتزّ تحرَّكت العلويَّة من كل جانب، فغلبَ الحسنُ بن زيد بن محمد على طبرستان، وخرج بالرَّيِّ عليُّ بنُ جعفر بنِ حسين بن عليٍّ بن عمر، وخرجَ الحسينُ بن أحمد الكَوْكَبيّ، فسارَ إلى الدَّيْلَم، وخرج الحسينُ بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن حسين بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب، وظهر بمكَّة إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسين بن عليّ[١] ابن أبي طالب[٢].

فأمَّا الحسنُ بن زيد صاحب طبرستان، فإنَّه قصدَه سليمانُ بن عبد الله بن طاهر، فأخرجَه من طبرستان، فألحقَه بالديلَم[٣].

وأمَّا الكوكبيّ، واسمه الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الأرقط ابن محمد بن [علي بن][٤] الحسين بن علي بن أبي طالب، غلبَ على قَزْوين وزِنْجَان، فطردَه عنها عمال ابن طاهر[٥].

وأمَّا الحسين بن محمد بن حمزة الخارج بالكوفة، فإنَّه غلبَ على سوادها في ثلاث مئة رجل، فوجَّه إليه المستعين مُزاحم بن خَاقان، فهزمه الطالبيُّ، فدخل مزاحم الكوفة، ثم جاء الطالبي، فخرجَ إليه مزاحم فهزمه.

وكتبَ المعتزُّ إلى مزاحم فاستماله، فأتى إلى سرَّ من رأى، ولم يعد إلى بغداد، وذلك في رجب.

فأما إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم الخارج بمكَّة، فإنَّه لما دخلَ مكَّة كان بها جعفر ابن الفضل بن عيسى بن موسى عاملاً عليها، فهرب، فنهبَ إسماعيل منزلَه ومنازل أصحاب السلطان، وقتل الجند وجماعةً من أهل مكة، [وأخذ ما كان حمل لإصلاح العين الجارية إلى مكَّة]، وأخذ ما في الكعبة من الذهب والفضَّة والطيب والكُسْوة، وأخذ من الناس نحواً من مئتي ألف دينار، ونهب مكة، وأحرق بعضها في ربيع

(١) هنا نهاية الخرم في (ب).

(٢) المنتظم ١٢/ ٤٩-٥٠ .

(٣) تاريخ الطبري ٩/ ٣٠٧ .

(٤) ما بين حاصرتين من (ب).

(٥) كذا في (خ) و(ف) و(ب). وفي تاريخ الطبري ٩/ ٣٤٦ : أنَّ الكوكبيَّ هو طرد آل طاهر منها.

الأول، ثم خرجَ منها بعد خمسين يوماً، وصار إلى المدينة، فتوارى عنه عاملها عليُّ ابن الحسين بن إسماعيل، ثم رجع [إسماعيل] إلى مكة في رجب، فحصرَهم حتى ماتوا جوعاً وعطشاً، وبلغ الخبز ثلاثَ أواقٍ بدرهم، واللحمُ رطلٌ بأربعة دراهم، وشربةُ ماءٍ بثلاثة دراهم، ولقي منه أهلُ مكَّة كلَّ بلاء، وأقام عليهم محاصراً سبعةً وخمسين يوماً، ثم مضى إلى جُدَّة، فأخذ أموالَ التجَّار وأصحاب المراكب، ومنع الطعام أنْ يُحمَل إلى مكَّة[١].

وجهَّز المعتزُّ إليه محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور، وعيسى بن محمد المخزوميّ، فقدما بالحاج، فقاتلهم، فقتَل من الحاجِّ نحواً من ألفٍ ومئة رجل، وسَلَبَ الناس، فهربوا إلى مكَّة، ولم يقف بعرفات منهم أحدٌ إلا إسماعيل وأصحابه، ثمَّ رجع إلى جُدَّة، فأفنَى أموالها[٢].

وفيها[٣] توفي

إسحاق بن عباد بن موسى

أبو يعقوب الخُتُّليّ[٤]. حدَّث عن الإمام أحمد وغيره، وروى عن ابن المديني.

قال: حجَّ الأعمش والمعلَّى[٥] ومالك بن مِغْوَل، فآذاهم الجمَّال، قام إليه الأعمشُ بعصى، فضربه فشجَّهُ فقيل له: تفعل هذا وأنت محرمٌ؟! فقال: اسكتوا، من تَمام الحجِّ ضربُ الجمَّال.

إسحاق بن منصور بن بَهْرام

أبو يعقوب الكَوْسَج المَرْوَزِيّ.

ولد بمرو، ورحل إلى العراق والحجاز والشام، وهو أحدُ الأئمة للحديث، وكان

---

(١) في تاريخ الطبري: فحمل إلى مكة الحنطة والذرة من اليمن، ثم وافت المراكب من القلزم.

(٢) تاريخ الطبري ٩/ ٣٤٦-٣٤٧. وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) من هنا إلى نهاية ترجمة الحسن بن الضحاك، ليس في (ب).

(٤) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٧/ ٤٠٠-٤٠١، وتاريخ دمشق ٢/ ٧٦١-٧٦٣ (مخطوط).

(٥) في تاريخ دمشق ٢/ ٧٦٣: والعلاء.

عالماً فقيهاً، دَوَّنَ عن الإمام أحمد مسائل، وقال: بلغني أنَّ الكَوسجَ يروي عنِّي مسائل، اشهدوا أنِّي قد رجعت عنها، وكان الإمام أحمد يكره أن يدوَّنَ كلامُه، وبلغَ الكوسج، فوضعَ تلك المسائل في جراب، وحملَه على عنقه إلى بغداد، فدخلَ على الإمام أحمد، فعرضَها عليه، وأوقفَه على خطِّه، فأعجبه ذلك، وأقرَّ له بها ثانياً.

استوطنَ الكوسج نَيْسابور، وماتَ بها، [ودُفِن][1] يوم الجمعة لعشرٍ بقين من جمادى الأولى.

أسندَ عن الإمام أحمد، وسفيان بن عيينة، وعبد الرزاق، وخلقٍ كثير، ورَوى عنه عبد الله ابن الإمام أحمد، وأخرج عنه البخاريُّ ومسلم، وأجمعُوا عليه[2].

الحسين بن الضَّحَّاك بن ياسر[3]

أبو علي الشاعر، ويعرف بالخليع، الباهليّ.

ولد بالبصرة سنة اثنتين وستين ومئة، ونشأ بها ومدح غيرَ واحدٍ من الخلفاء، وحصلت له أموالٌ عظيمة.

وقف الخليع على مجلسٍ فيه غلامٌ أمرد وضيءُ الوجه، فجعلَ ينظر إلى الغلام وهو معرضٌ عنه، فقال الخليع: [من الطويل]

تـتـيـهُ عـلـيـنـا أنْ رُزِقـتَ مـلاحـةً ... فـمـهـلاً عـلـيـنـا بـعـضَ تـيـهـكَ يـا بـدرُ

لـقـد طـالـمـا كُـنَّـا [مـلاحـاً و] طـالـمـا ... صَـدَدنـا وتـهـنَـا ثـم [غـيَّـرنـا][4] الـدهـرُ

[فصل: وفيها توفي]

محمد بن سَهْل

ابن عَسكر بن عُمارة، أبو بكر البخاري، ويعرف بابن دُوَيد.

---

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٧/ ٣٨٧.

(٢) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٧/ ٣٨٥-٣٨٧ ، والمنتظم ١٢/ ٥١ ، وتاريخ دمشق ٢/ ٧٨٤-٧٨٦ (مخطوط).

(٣) كذا ذكره المصنف في وفيات هذه السنة وتبعه ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٢/ ٣٣٣ . وفي تاريخ بغداد ٨/ ٥٩٥، ووفيات الأعيان ٢/ ١٦٨، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٩١، والوافي بالوفيات ١٢/ ٣٧٩ أن وفاته كانت سنة خمسين ومئتين.

(٤) في (خ) و(ف) بياض، وما بين حاصرتين من الأغاني ٧/ ٢١١.

سكنَ بغداد، وحجَّ إلى مكَّة مراراً، [وكان صالحاً ثقةً. وقال عبد الله بن أحمد[١]: حدثنا محمد بن سهل قال:][٢] رأيت بطَريقِ مكة رجلاً مغربيًّا ينادي: من أصابَ لنا هميانَاً له ألف دينار، وإذا بإنسان أعرج، عليه أطمارٌ رثَّةٌ يقول للمغربي: ما علامة هميانك؟ فقال: كذا وكذا، فأخرج الهميان فدفعه إليه ففتحه، وإذا فيه جوهرٌ له قيمة تساوي خمسين ألف دينار، فأخرج منه حبَّةً وجعل يقول: هذه تساوي كذا وكذا ألف دينار، وهذه تساوي ألف دينار، وهذه تساوي خمس مئة دينار، وكان فيه بضائع للناس، ثمَّ أخرجَ ألف دينار ودفعَها إلى الأعرج، فلم ينظر إليها وقال: لو كان الهميانُ يساوي عندي بعرةً ما رَدَدْتُه، ومضى ولم يأخذ منها شيئاً[٣].

حدَّث عن عبد الرزاق وغيره، ورَوى عنه عبدُ الله بن الإمام أحمد[٤] وغيره، وكان صالحاً ثقةً[٥].

يعقوب بن إسحاق

ابن البُهلول بن حسَّان بن سِنان، أبو يوسف التَّنوخيُّ الأنباريّ.

كان من حفَّاظ القرآن، عالماً بعدده وآياته وحروفه وكلماته[٦]، زاهداً ورعاً.

ولد بالأنبار سنة سبعٍ وثمانين ومئة، وحدث حديثاً كثيراً، ومات في حياةِ أبيه في رمضان، ودفن في مقابرِ باب التبن، فوجدَ أبوه عليه وجداً شديداً، وفاته صلوات[٧] بسبب حزنه عليه، وكان يقول: ابني يعقوب أكملُ مني. وتوفي أبوه في السنة الآتية[٨].

---

(١) كذا في (ب)، وفي تاريخ بغداد ٣/ ٢٥٣ : أحمد بن محمد بن مسروق...

(٢) ما بين حاصرتين من (ب)، وفي (خ) و(ف): وقال.

(٣) انظر الخبر بنحوه في تاريخ بغداد ٣/ ٢٥٣-٢٥٤ .

(٤) لم أقف على من ذكر عبد الله بن أحمد في الرواة عنه.

(٥) انظر ترجمته أيضاً في تهذيب الكمال ٢٥/ ٣٢٥ ، وتاريخ الإسلام ٦/ ١٧٦ . وأورده ابن الجوزي في المنتظم ١٤/ ١٤٩ في وفيات ٣٥١هـ !؟

(٦) في تاريخ بغداد ١٦/ ٤٠٣ : وكان من حفاظ القرآن، العالمين بعدده وقراءاته .

(٧) في تاريخ بغداد ١٦/ ٤٠٤، والمنتظم ١٢/ ٥٤ : وأنه لما توفي يعقوب أغمي على إسحاق وفاتته صلوات، فأعادها .

(٨) من قوله: حدث عن عبد الرزاق وغيره... إلى هنا ليس في (ب).